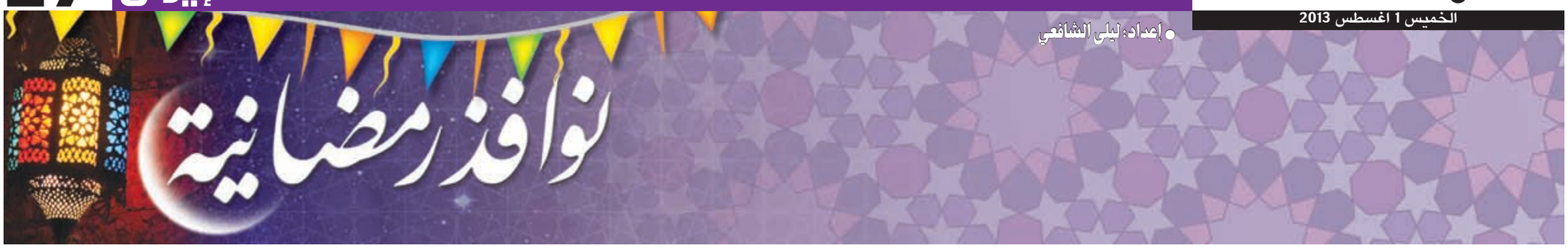

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة رجل من المخدرات بعد موت صاحبه

يروي قصته فيقول: كنت أتمايل طربا، وأترنح يمنة ويسرة، وأصرخ بكل صوتي وأنا أتناول مع «الشلة» الكأس تلو الكأس.. وأستمع الى صوت «مايكل جاكسون» في ذلك المكان الموبوء، المليء بالشياطين الذي يسمونه «الديسكو»، كان ذلك في بلد عربي، أهرب اليه كلما شجعني صديق او رفيق، فأصرف فيه مالي وصحتي، وأبتعد عن أولادي وأهلي.. وأرتكب أعمالا عندما أتذكرها ترتعد فرائصي، ويتملكني شعور بالحزن والأسى، لكن تأثير الشيطان علي كان أكبر من شعوري بالندم والتعب، استمرت هذه الحال، وانطلق بي هوى النفس الى أبعد من ذلك البلد العربي، فأصبحت من عشاق أكثر من عاصمة أوروبية، وهناك، أجد الفجور بشكل مكشوف وسهل ومرن. وفي يوم من أيام أواخر شهر شعبان أشار علي أحد الأصدقاء بأن نسافر الى «بانكوك»، وقد عرض علي تذكرة مجانية، وإقامة مجانية أيضا، ففرحت بذلك العرض، وحزمت حقائبي وغادرنا الى بانكوك حيث عشت فيها انحلالا لم أعشه طوال حياتي. وفي ليلة حمراء، اجتمعت أنا وصديقي في أحد أماكن الفجور، وفقدنا في تلك الليلة عقولنا، حتى خرجنا ونحن نترنح، وفي طريقنا الى الفندق الذي نسكن فيه، أصيب صديقي بحالة إعياء شديدة، ولم أكن في حالة عقلية تسمح لي بمساعدته، لكني كنت أغالب نفسي فأوقفت سيارة أجرة حملتنا الى الفندق، وفي الفندق.. استدعي الطبيب على عجل، وأثناءها كان صديقي يتقيأ دما، فأفقت من حالتي الرثة، وجاء الطبيب ونقل صديقي الى المستشفى، وبعد 3 أيام من العلاج المركز، عدنا الى أهلينا وحالة صديقي الصحية تزداد سوءا، وبعد يوم من وصولنا، نقل الى المستشفى، ولم يبق على دخول رمضان غير 4 أيام.

وفي ذات مساء، ذهبت لزيارة صديقي في المستشفى، وقبل أن أصل الى غرفته لاحظت حركة غريبة، والقسم الذي يوجد فيه صديقي «مقلوب» على رأسه، وقفت على الباب، فإذا بصراخ وعويل، لقد مات صاحبي لتوه بعد نزيف داخلي عنيف، فبكيت، وخرجت من المستشفى وأنا أتخيل انني انا ذلك الإنسان الذي ضاعت حياته، وانتهت في غمضة عين وشهقت بالبكاء وأنا أتوب الى الله، وأنا أستقبل رمضان بالعبادة والاعتكاف والقيام، وقراءة القرآن، وقد خرجت من حياة الفسق والمجون، الى حياة شعرت فيها بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار، وقد كنت بعيدا عن ذلك، أستمرئ المجون والفجور، حتى قضى صاحبي نحبه أمامي، فأسأل الله ان يتوب علي.

الرجال مواقف

الزبير بن العوام ألقى بنفسه من علو على أعدائه

ألقى بنفسه على ارض اعدائه وتناولته سيوفهم ورماحهم ولكنه قام مسرعا يركض وكأن تلك السيوف والرماح ليست في جسده متجها لباب قلعة حصن بابليون بمصر وفتح الباب ودخل المسلمون الذين كانوا يحاصرون القلعة المنيعة لفترة طويلة دامت سبعة اشهر دون جدوى حتى جالت فكرة فتح الباب من الداخل لهذا الصحابي وقال «اني اهب نفسي لله، فأرجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين».

ووضع سلما من الخشب الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره ان يجيبوه جميعا.

كان فدائيا شجاعا لا يدري ما سيلقى فوق السور من قوات الروم، وكان في نحو الخمسين من عمره.

فقام وصعد سور الحصن فنظر أسفله فإذا اعداؤه ينتظرونه بسيوفهم ومع ذلك لم يتردد ولم يهب الموقف لكي يعود عن فكرته الخارقة لأنه كان صادقا فصدقه الله فكان ما أراد وفتح الباب وفتحت مصر.

ترى اي روح هذه؟ وأي صدق هذا؟ وأي شجاعة تلك؟ وأي نفس ترخص عند صاحبها لهذا الحد؟ فهي لابد انها ليست في قلبه وانما بين يديه ذاك هو الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله ﷺ وعديله وصهره وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفا في الإسلام وحواري رسول الله ﷺ، اي يده اليمنى، ويدك ايها الانسان هي التي تقتل وتتصدق وتظلم وتعدل ويمكن ان تبطش بها ويمكن ان تمسح بها على رأس يتيم فهي تفعل ما تأمرها به دون تردد فهكذا كان الزبير حواريا لرسول الله ﷺ في الخير وللخير فقط.

أسلم الزبير بمكة وعمره 15 سنة على يد أبي بكر الصديق وأصبح عدد المسلمين7 أشخاص وزوّجه بعد ذلك ابنته أسماء ذات النطاقين ونشأ يتيما بعد موت أبيه العوام بن خويلد احد صناديد قريش ومكة شقيق السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وتولت أمره أمه الهاشمية المرأة الحديدية التي نتمنى ان نجد عُشرها اليوم وأول امرأة تقتل مشركا في الإسلام صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ فكانت نعم المربية لأبنائها حيث انها ربته على الجلد وعدم الخوف وتحدي الصعاب فكانت تضع الحاجة لها في احد جبال مكة نهارا ثم تأمر ابنها ان يصعد الجبل ليلا ليحضر لها حاجتها فنشأ صنديدا من صناديد الإسلام.

كان للزبير رضي الله عنه نصيب من العذاب على يد عمه، فقد كان يلفه في حصير ويدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه، وينايديه «اكفر برب محمد ادرأ عنك هذا العذاب».

فيجيب الفتى الغض «لا والله، لا أعود للكفر أبدا».

ويهاجر الزبير الى الحبشة الهجرتين، ثم يعود ليشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ.

ولك ان تعرف ان الزبير كان مليونيرا، فكيف اصبح كذلك؟ كان العرب قديما اذا أراد ان يسافر لحاجة له ولديه مال يريد ان يحفظه في مكان أمين عقيل وقوي او بما يعرف اليوم بالبنك الذي يحفظ للناس أموالهم كانوا يضعون ويحفظون أموالهم عند الرجل القوي الأمين عقيل وصاحب الجاه الذي تمنعه مكانته الاجتماعية من الخيانة فكان الزبير احد هؤلاء لما يمتلكه من صفات الأمانة والقوة والشجاعة والمكانة فهو من بني اسد من أشراف قريش ولكنه يقول لهم ليست امانة وانما سلفة فكان الناس يضعون أموالهم عنده بالسلف وإذا عادوا أعاد لهم أموالهم.

وهو اول من سل سيفا في سبيل الله ولهذه السلة قصة عجيبة بل ان العجب انه قام بعمل لم يكن عدد المسلمين حينها يتجاوز الثلاثين وهو دون العشرين في حين عدد المسلمين اليوم تجاوز المليار ولم يغضبوا لرسول الله كغضبته.

فقد كان الزبير يوما نائما في الحرم فسمع نفحة نفحها الشيطان له وهو نائم ان محمدا قتل فقام من نومه حتى انكشفت عورته وهو لا يدري وسل سيفه فأخذ يشق الناس بسيفه حتى لقيه رسول الله ﷺ وقال له: «ما لك يا زبير؟» فقال: سمعت انك أخذت فوالله لأقطعن رؤوس أهل مكة واضرب بسيفي من أخذك، فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة له ولذريته ولسيفه بالغلبة حتى قال فيه الشاعر:

قد نلت سعدا يابن عمة احمدا
بدعاء النبي محمدا
فجميع آل العوام حووا عزا
يا سعدهم نالوا مقاما امجدا

ولم يكن يوما متهاونا مع من يغتصب منه أمرا، فقد جاءت امرأة لعمر بن الخطاب تستشيره في رجلين تقدموا لخطبتها احدهما الزبير فقال لها عمر: أما الأول فشحيح وأما الزبير فيقيم غارة من اجل تمرة.

ولما كانت غزوة بدر الكبرى كان علي الزبير عمامة صفراء فنزل جبريل والملائكة على سيماء الزبير، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد عن عمرو بن عاصم الكلابي عن همام عن هشام بن عروة عن ابيه قال: كانت على الزبير ربطة صفراء معتجرا بها يوم بدر فقال النبي ﷺ: «ان الملائكة نزلت على سيماء الزبير».

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جدي ابن عمة احمد ووزيره عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان اول فارس شهد الوغى في اللامة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة بالحوض يوم تألب الأعداء

وفي «سير اعلام النبلاء» للذهبي عن يونس بن بكير عن هشام عن ابيه عن الزبير انه قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «لكل نبي حواري وحواري الزبير وابن عمتي»، وقد اخرجه ابن سعد في طبقاته وصححه الحاكم في مستدركه.

والحواري في اللغة هو الناصر او ناصر الأنبياء كما ذكر صاحب القاموس وقال مصعب الزبيري: هو الخالص من كل شيء وقال الكلبي: الحواري: الخليل.

وفاته رضي الله عنه

كانت يوم الجمل حين أفل راجعا لحقه عمرو بن جرموز فقتله غدرا في وادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة وأخذ رأسه الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه، فاستأذن عليه فقال الإمام علي: بشروا قاتل ابن صفية بالنار «سمعت ذلك من رسول الله ﷺ».

وفي «الوافي بالوفيات» للصفدي ان ابن جرموز حين بشره الإمام علي رضي الله عنه بالنار قال أبياتا هي:

أتيت عليا برأس الزبير وأرجو لديه من الزلفه
فبشر بالنار اذ جئته فبئس البشارة والتحفه

وقال في رثائه الشاعر:

ان الرزية من تضمن قبره وادي السباع لكل حنب مصرع
لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

واشتهر عن حسان بن ثابت أبيات قالها في الزبير هي:

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق اعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول اذا ما كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بابيض سباق الى الموت يرقل
وان امرءا كانت صفية امه ومن اسد في بيتها لمؤثل
له من رسول الله قربى قريبة ومن نصرة الاسلام مجد مؤثل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطي ويجزل
ثناوك خير من فعال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

وهذا جزء يسير من سيرته رضي الله عنه، رحم الله الزبير بن العوام صاحب رسول الله ﷺ.

روائع القصص

قصص في الورع

حكى لنا النبي ﷺ عن شخصين فيمن قبلنا تورعا عن شيء اكتشفاه في الأرض فاشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني اني اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض بما فيها، فكل منهما تورع عن أخذ الذهب، فتحاكما الى رجل عاقل فقال ألكما ولد فقال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية، قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا عليهما منه وتصدقا. (رواه البخاري ومسلم).

قصة الصحابة الذين لم يشيروا الى الصيد وهم حرم، فيقول أبوقتادة رضي الله عنه «كنا مع النبي ﷺ في القاحة ومنا المحرم ومنا غير المحرم، فرأيت أصحابي يتراءون شيئا فنظرت ـ وفي رواية أنهم ضحكوا ولكن لم يشيروا ولم يعينوا ـ فإذا حمار وحشي فوقع سوطه فقالوا لا نعينك عليه بشيء انا محرمون، فتناولته فأخذته ثم أتيت الحمار من وراء أكمة فعقرته فأتيت به أصحابي فقال بعضهم كلوا وقال بعضهم لا تأكلوا، فأتيت النبي ﷺ وهو أمامنا فسألته فقال كلوه فهو حلال، فكيف اذا تورعوا عن الإشارة والمعاونة وعن الأكل منه؟

وكذلك كان النبي ﷺ يتورع عن التمرة يجدها في بيته، فأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ : «كخ.. كخ» ليطرحها ثم قال: «ما شعرت اننا لا نأكل الصدقة» (رواه البخاري ومسلم)، وهذا فيه منع الولد أو الحفيد من أخذ التمر الذي لا يجوز له أكله مع انه صبي صغير غير مكلف، واما قصته ﷺ في التمرة يجدها فقد اخرجها البخاري ومسلم ايضا انه قال ﷺ : «اني لأنقلب الى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ثم أخشى ان تكون صدقة فألقيها» أي لا يأكلها مع انه جائع.

ذنوب كبيرة

الخيانة

قال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)، قال الواحدي، رحمه الله تعالى: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه: أي إنه الذبح، فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله، وقوله: (وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) عطف على النهي، أي ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس: الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها، قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما، وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة، وقال تعالى: (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) أي لا يرشد كيد من خان أمانته وأنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية، وقال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»، وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك».

وفي الحديث أيضا «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب» وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه» وفيه أيضا: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، ورُب مُصل لا خير فيه»، وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والخيانة فإنها بئست البطانة».

من التراث

أنا أول من آمن بك

تنبأ رجل في ايام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل، فقال له المأمون: ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين، قال: وما براهينه؟ فقال له المأمون: ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين، قال: وما براهينه؟ قال: اضرمت له نار والقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما، ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنة آمنا بك، قال: اريد واحدة اخف من هذه! قال: فبراهين موسى! قال: وما براهينه؟ قال: القى عصاه فإذا هي حية تسعى! وضرب البحر بها فانفلق! وادخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء، قال: وهذه علي اصعب من الاولى! قال: فبراهين عيسى! قال: وما هي؟ قال: احياء الموتى، قال: مكانك قد وصلت! انا اضرب رقبة القاضي يحيى بن اكثم واحييه لكم بعد ساعة! فقال يحيى: انا اول من آمن بك وصدق!

غزوات الرسول

غزوة بدر الكبرى

أنين العباس يسهر رسول الله ﷺ

خرج العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ مع المشركين الى بدر مكرها وأسر يومئذ فيمن أسر، وكان قد شد وثاقه فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض اصحابه: ما يسهرك يا نبي الله؟ فقال: «أسهر لأنين العباس»، فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه، فقال له رسول الله ﷺ: «مالي لا اسمع انين العباس؟ فقال الرجل: انا ارخيت من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: «فافعل ذلك بالأسرى كلهم»، وكان العباس مسلما يكتم اسلامه بمكة ويكتب الى رسول الله اخبار المشركين وكان من بمكة من المسلمين يتقوون به وكان لهم عونا على اسلامهم، وكان العباس كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله ﷺ فيكتب له النبي ﷺ: «مقامك بمكة خير لك فإن الله عز وجل يختم بك الهجرة، كما ختم بي النبوة» وكان كذلك، فقد كان آخر المهاجرين، لذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من لقي العباس فلا يقتله فإنه أخرج كرها».

فلما طلب منه الفداء قال: علام يؤخذ منا الفداء وكنت مسلما، ولكن القوم استكرهوني، فقال رسول الله ﷺ: «الله اعلم بما تقول ان بك حقا فإ الله يجزيك، ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا».

وأمر النبي ﷺ العباس بفداء نفسه وابني أخويه عقيل بن ابي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وحليفه عتبة بن عمرو، ففدى نفسه بمائة أوقية، وكل واحد بأربعين اوقية.

فقال العباس للنبي ﷺ: تركتني فقير قريش ما بقيت، فقال له ﷺ: «فأين المال الذي دفعته لأم الفضل ـ زوجة العباس ـ وقلت لها: ان اصبت فهذا لبني الفضل وعبدالله وقثم».

فقال العباس: «والله اني أشهد انك رسول الله، ان هذا شيء ما علمه إلا انا وأم الفضل، اشهد الا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله» وهذا لا ينافي اسبقية اسلامه.

ونزل بحق العباس رضي الله عنه (يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم) ـ الأنفال 70.

وعند نزول الآية، قال العباس للنبي ﷺ: وددت انك كنت اخذت مني اضعاف ما اخذت، وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالا عظيما، وكان رضي الله عنه يقول: وإني لأرجو من الله المغفرة ـ مصداقا للآية الشريفة.

● الشيخ سيد الرفاعي